﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الغاشية: 21 - 24]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الحثُّ على التَّذكيرِ بدلائلِ خلقِ اللهِ وعظيمِ صُنعِهِ

لمّا دلَّ ما ذُكر مِن عجائبِ صُنعِه تعالى في أنواعِ المخلوقاتِ من البسائط والمُركّبات العلويّات والسّفليّات على كمال قدرته على كلِّ شيءٍ، فدلَّ على كمال قدرته على البعث وعلى كلِّ ما ذَكَرَ أنَّه يفعلُه في الجنَّة والنّار، وكان الحثُّ على النَّظرِ في هذه الأشياء باستفهام إنكاريٍّ، وكان ذلك مُفيدًا لانتفاء النَّظر، قال تعالى مُسبِّبًا عنه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾؛ ولمّا أمَرَ اللهُ تعالى رسولَه بالتّذكير أخبره تعالى بأن لا عليه إن لم ينظروا في المخلوقات العجيبة الدّالَّة على كمال قدرته ولم يتّعظوا بتذكيرِه؛ لأنَّه ما عليه إلّا البلاغ، فنفى عنه أن يكون مُسيطرًا على النّاس فقال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾. ولمّا نفى عنه سيطرتَه على النّاس، وكان التقدير: (فمَنْ أقبل وآمن؛ فإنَّ اللهَ يُنعِّمه النَّعيم الأكبر)، قال مستدركًا قسيمهم من أهل الشّقاء في صورة الاستثناء، فقال: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾، ثمَّ أخبر تعالى انَّه ينتج عن كفرِه وتولّيه عذابَه في الآخرة العذاب الأكبر؛ فقال: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَذَكِّرْ﴾: يدور معنى (ذكر) على قوَّةِ الشَّيءِ وصلابةِ مادَّته بحيث ينفذُ. والأصلُ في الذِّكْرِ أن يجري لفظُ شيءٍ على اللّسان بأن يكون بالصّوت ويتبعه وجودٌ في الأسماع والقلوب. والتَّذْكِرَةُ: ما

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 22/ 17 - 18.

يُتذكَّرُ به الشَّيءُ، والتَّذكيرُ بالشّيء إعادة ذِكْرِه على سبيل الإكثار منه؛ لأنَّ ذِكْرَ الشَّيء يعني بقاءَه قويًّا واضحًا في الذِّهنِ. ولمّا كان التّذكير بالشّيءِ إعادةً لِذكْرِه كان التّذكير، أو التذكُّر يصلحُ لِما هو ضدُّ النِّسيانِ، ولمعنى الوعظ[1]. ومعنى ﴿فَذَكِّرْ﴾ بمعنى: أكثِرْ من ذِكْرِ حقائق الأمور وأدلّتها على ما فيه صلاحهم في الدّنيا والآخرة.

2) ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾: (سطر) أصلٌ يدُلُّ على اصطفاف أفرادٍ أو أشياء طوليًّا بانضباط، كالصَّفِّ من الشَّجر وغيره؛ ومنه سَطَر فلانًا: صَرَعه (فامتدَّ على الأرض)، والكتابَ: كتَبَه " (سَطْر الكتابة صَفٌّ من الكلمات متجاورة على امتدادٍ واحدٍ؛ فتبدو مسترسلة الامتداد)[2]، وتسيطر فلانٌ على قومه: إذا تسلَّط عليهم[3]. والمسيطِرون: الأرباب المسلِّطون؛ فالمسيطر هو المُتعهِّد للشيءِ القائم عليه على جهة التَّسلُّط. ويُقالُ: صَيْطَر وسَيْطَر بالصّادِ والسّينِ[4]. و﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ بمعنى مُسَلِّطٍ[5]، أو بمجبرٍ مكرِه[6]؛ أيْ: لستَ عليهم بقائمٍ مسلِّطٍ تُجبرهم على ما تريد.

3) ﴿تَوَلَّىٰ﴾: (ولي) أصلٌ يدُلُّ على قُربٍ. يُقالُ: تَباعَدَ بَعْدَ ولْيٍ؛ أيْ: قُرْبٍ. وجَلَسَ مِمّا يَليني؛ أيْ: يُقارِبُني[7]. وإذا عدّي الفعلُ (تولَّى) بنفسه اقتضى معنى الوَلايَةِ والاتّباع، وحصوله في أقرب المواضع منه. وإذا عدّي بـ(عن) لفظًا أو تقديرًا - كما في الآية - اقتضى معنى الإعراضِ، وتَرْك القربِ. والتَّوَلّي قد يكون بالجسم، وقد يكون بتركِ الإصغاءِ والائتمارِ[8]. ومعنى ﴿تَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ عن إجابتِك[9]، أو أعرض عن الإيمان[10].

المَعْنى الإجْماليُّ:

أمَرَ اللّه تعالى نبيَّه ﷺ بدوام التّذكير، فيقول: فذكِّر - يا محمَّد - النّاسَ بآياتِ

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذكر).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سطر).
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 390، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سطر).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سطر).
(5) الفرّاء، معاني القرآن: 3/ 258.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 307.
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ولي).
(8) الرّاغب، المُفردات: (ولي).
(9) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 15/ 327.
(10) الواحديّ، التّفسير البسيط: 23/ 478.

اللّه وعِظْهمْ بها، فلا عليك إنْ لم ينظروا ولم يتذكَّروا؛ فما أرسلتُك إلّا مُذكِّرًا مُبلِّغًا، ولستَ على النّاس بمُتسلِّطٍ فتكرههم على الإيمان باللّه وعلى طاعته، لكنْ مَن أعرض عن الحقِّ وعن إجابتِك وكفرَ بعد تذكيرِه فيعذّبه اللّه في الآخرة العذاب الأكبر في النّار[1].

المـواصـلـةُ في الدّعوةِ والإرشادِ دون كَـلـلٍ أو ملالٍ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاءِ في قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ فصيحةٌ، للتّفريعِ على مُحصَّل ما سبقَ من أوّل السّورة الذي هو التّذكير بالغاشية وما يكون عليه حالُ أهل الكفر من العذاب، وحالُ أهل الإيمان من النّعيم يوم تغشى النّاسَ، وما يفيده من إنكارِ أهل الشّقاء البعثَ يوم القيامة. ولمّا كان الاستفهام الإنكاريُّ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ دالًّا على انتفاء نظرِ المشركين مُنكري البعثِ، ترتّبَ أمْرُ اللّه رَسولَهُ ﷺ بالتّذكير[2]؛ أيْ: لمّا كان منهم الإنكار وانتفاء النّظر على جهة التدبُّر والاعتبار ترتَّب عليه أمرُ رسولِه ﷺ بالتّذكير[3].

دوامُ التّذكيرِ بدلائلِ صنعِ اللّه وإن استمرَّ إنكارُ المُنكِرين

نكتةُ إيثارِ التّعبيرِ بمُفردةِ (ذَكِّر):

أوثر التّعبيرُ بمُفردة (ذَكِّر) في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ لمناسبتِها للمقام، وذلك للإشارة إلى أنَّ الآيات المذكورة في السّورةِ هي آيات تذكير؛ لأنَّها اشتملت على الإخبار بوقوع يوم القيامة وبيان وصفِها من كونِها غاشيةً تغشى النّاسَ جميعًا لعِظَم شأنِها، وأخبرت عمّا يكون عليه حالُ النّاس يوم القيامة من كونِهم صنفيْن؛ فمنهم أهل الشّقاء ومنهم أهلُ النّعيم، مع ذِكر الأدلَّة الظّاهرة لأنظار النّاس جميعًا على قدرة اللّه ووحدانيَّتِه. فالمُنكِر

التّـذكـيرُ يكونُ بـلـطـفِ الـكـلامِ وجمالِ العبارةِ

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 436، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 308.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 306.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 9/ 151.

إنّما ينكر عن عنادٍ وشهوةٍ لا عن جهلٍ وانتفاء علم، لظهور الأدلَّة ووضوحِها. فلمّا كانت الأدلَّة ظاهرةً أوثِر التّعبير بمفردة (ذَكِّر)، دون أن يُقال: (فوبِّخ على عدم نظرِهم) مثلًا؛ لأنَّ التّذكير الذي هو إعادة ذِكْر الشّيء لتثبيتِه في نفس المخاطب إنّما يكون فيما هو ظاهر المعنى واضح الدّلالة. وفيه إشارةٌ إلى اللّطف في التّذكير بما يكون فيه القبول. وكذلك أفاد التّعبير بـ(ذَكِّر) أنَّ التّذكير قد يوصِل المُتذكّر إذا أقبل عليه بحسن رغبةٍ إلى الانتفاع بنظرِه إلى بدائع صنعِ الله. وفي التّعبير أيضًا إشارةٌ إلى أنَّه لا يكفي النّظر مرَّة واحدة إلى أحوالِ مخلوقات الله تعالى الظّاهرة، ليكون نظر اعتبارٍ وعِظَةٍ، فدلَّ على الحثِّ على تكرار النّظر وإدامتِه.

دلالةُ الأمرِ المُضعَّفِ ﴿فَذَكِّرْ﴾:

أفاد التّعبير بصيغة الأمر المُضعَّف العين: ﴿فَذَكِّرْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ المبالغةَ في التّذكير وتكرارَه مرَّةً بعد مرَّة، فالأمر يفيد طلب الاستمرار بالتّذكير ودوامه بالتّكرار[1]. فدلَّ الأمر على دعوة النّبيِّ ﷺ إلى الاستمرار في تذكير النّاسِ بهذه الآيات التي تحدَّثت عن قدرة الله سبحانه، وعن حكمته، ليكون فيها تذكرة لِمَن يتذكَّر، وعبرةً لِمَن يعتبر.

الاستمرارُ والتّكرارُ لتمامِ الاعتبارِ

بلاغةُ حذفِ مفعولِ ﴿فَذَكِّرْ﴾:

حُذف مفعولُ ﴿فَذَكِّرْ﴾ من اللفظ في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ لقصد العموم؛ أيْ: (فذكّر كلَّ شخصٍ)[2]. والسَّبب أنّه ﷺ مُقتصرٌ على كونِه مُذكِّرًا، فمُقتضى الاتّصافِ بوصف التّذكير أن يكون التّذكير لكلِّ شخصٍ. فالتّذكيرُ عامٌّ؛ لأنَّ الرَّسولَ ﷺ بُعِثَ إلى النّاسِ كافَّةً؛ أيْ: (ذَكِّرْ كلَّ أحدٍ في كلِّ حالٍ، وفي كلِّ

التّذكيرُ يكون لكلِّ النّاسِ من المؤمنين والكافرين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 306.

(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 242.

مكانٍ)[1]. ويحتمل أن يكون المفعول محذوفًا من اللفظ مقصودًا في المعنى، بأن يكون ضميرًا محذوفًا دلَّ عليه قَوْلُهُ بَعده: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2]؛ أيْ: (فذكّر الكافرين فإنّما أنت مُذكِّرٌ لهم لست عليهم بمسيطر). ويحتمل كذلك أن يكون الحذف على إرادة عموم المفعول، المُقيَّد باستثناء مَنْ تولَّى وكفر؛ فالتّقدير: (فذكّر كلَّ مَنْ يُرجى تذكُّره وانتفاعُه بالتَّذكير)، وفي هذا الوجه توبيخٌ لِمَنْ لا يُرجى انتفاعه من التّذكير بسبب الإعراض عنه؛ لأنَّه في مقامِ توبيخِ مَنْ لا يستحقُّ التّذكير. ويحتمل أن يكون حذف المفعول على إرادة مجيء الفعل بمعنى الفعل اللّازم؛ للإشارة إلى إثبات معنى التّذكير في نفسِه لرسول الله ﷺ بمعنى أنَّ من شأنِ رسول الله ﷺ أن يكون منه التّذكير، وليس من شأنِه شيءٌ آخر، فيكون قولُه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ تقريرًا للمعنى. وعلى هذا الوجه الأخير يكون الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ من ﴿عَلَيْهِم﴾، ولا يصحُّ أن يكون من ﴿فَذَكِّرْ﴾ لأنَّه لا مفعول له.

دلالةُ التّعليلِ في قولِهِ: ﴿إِنَّمَآ﴾ بتصديرِ الكلامِ بـ(إنَّ):

دحـضُ الشُّبهِ وإزالـةِ الظّنونِ الخاطئةِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ تعليلٌ للأمرِ بالدّوام على التّذكيرِ مع عدم إصغائِهم ودوام إعراضِهم؛ أيْ: (فلا تتحرَّج من عدم تذكيرِهم؛ فأنت غيرُ مُقصِّرٍ في تذكيرِهم). فإنَّ (إنَّ) على موضعِها في الدِّلالة إذا جاءت رابطةً لجُملةٍ بعد جملةٍ على سبيلِ الاحتجاج أن تكون على معنى فاء السّببيَّةِ في مجرى التّعليل؛ وقد يُقال: إذا كان موضع ﴿إِنَّمَآ﴾ هو التّعليل وأنَّه يقوم مقام فاء السّببيَّة فلِمَ لم يَقُلْ: فذكّر فأنت مذكّر؟ والجواب هو أنَّه لمّا كانت (إنَّ) الرابطة بين جملتيْن على معنى السّببيَّة في مقام الجواب عن سؤالٍ

(1) ابن عُثيمين، جزء عمَّ، ص: 181.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 306.

يكون للسّائل ظنٌّ في المسؤول عنه على خلاف ما أُجيب عنه[1]، كان التّعبير بـ﴿إِنَّمَآ﴾ في مَحَزِّ البلاغة، والمعنى أنَّ رسول الله ﷺ لمّا كان يهتمُّ في نفسِه من عدم إصغاء الكافرين إلى آيات الله وإعراضِهم عن النّظر إليها نظَرَ تدبُّرٍ واعتبارٍ، ولمّا كان حريصًا على إيمانِهم وكان حزنُه عليهم من الشِّدَّة بمثابة مَن يظنُّ أنَّ عليه تبعة عدم إيمانِهم، عَبَّرَ بقولِه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ لتأكيد كونِه ﷺ مُذكّرًا وليس بمُسيطرٍ عليهم. وأمّا اتّصال (ما) الكافَّة بـ(إنَّ) فلا يخرجها من دلالتِها ومهيعها[2].

بلاغةُ القصرِ بـ﴿إِنَّمَآ﴾

تثبيتٌ وإيناسٌ للنبيّ ﷺ، وتطمينٌ لنفسِه الزّكيَّة

القصرُ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ إضافيٌّ؛ أيْ: (أنت مُذكِّرٌ لست وكيلًا على انتفاعِهم من تذكيرِك، فلا عليك من عدم تذكُّرهم ولا تتحرَّج منه)، وأفاد القصر تخصيص أمر رسول الله ﷺ بوصف التّذكير، وحصر شأنِه على كونِه مذكّرًا؛ أي: (الواجب عليك التّذكير والتّبليغ)؛ ليفيد نفي تبعيَّة عدم تذكّرهم؛ أيْ: (فلا عليك إن لم ينظروا ولم يتذكّروا، ولا يُهمنَّكَ أمرهم، ولا تيأس من إصرارِهم على عدم اتّباعِك، والإعراضِ بما ألقي إليهم من الأدلَّة الظّاهرة والمواعظ البيّنة). وفي تخصيص أمر رسول الله ﷺ بكونِه مُذكِّرًا تثبيتٌ وإيناسٌ له ﷺ، وتطمينٌ لنفسِه الزّكيَّة، بأنَّه لم يُبعث ملجئًا لهم على الإيمان، وأنَّه لا تبعةَ عليه من عدم إصغائِهم.

المُعانِدُ المُغلّب الهوى يفوتُهُ فضلُ التَّذكيرِ ومنافعُهُ

وفي القَصْر بـ﴿إِنَّمَآ﴾ معنًى ثانٍ غير إرادة نفس معنى جملة القصر، وهو التّعريض[3] بذمِّ المُعرِضين عن التّذكير وعدم انتفاعِهم منه، وأن يُقال إنَّهم من فرطِ عنادِهم وغلبة الهوى عليهم لم ينظروا

(1) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 326.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 306.
(3) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 354 - 355.

ولم يتذكّروا، وفي القَصْرِ كذلك إنذارٌ لهم من عدم تذكُّرهم أو عدم الاستماع إلى تذكيرِه، بمعنى أنَّ رسولَ اللّه ﷺ ليس له إلّا التّذكير؛ فمَنْ لم يتذكّر ولم ينتفع من تذكيره فمآله يوم القيامة أن يكون من أهل الشّقاء.

وجهُ التّعبيرِ بالضميرِ ﴿أَنتَ﴾:

خصوصيَّةُ منزلةِ رسولِ الله ﷺ

يُقصدُ بضميرِ المُخاطَب ﴿أَنتَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ رسولُ اللّه ﷺ. وعُبِّر بالضَّمير للإشارة إلى ما اتصّف به في الخِطاب في أوّل السّورة من كونِه مبلِّغًا بالغاشية وبما يكون عليه أهلُ الشَّقاء وأهلُ النَّعيم يوم القيامة. وفي التّعبير بضمير المُخاطَب المُفرد إقبالٌ على المُخاطَب ﷺ تكريمًا له وزيادةً في المنزلة والمكانة والقرب وتثبيتًا لنفسِه.

دلالةُ اسمِ الفاعلِ المُنكَّر المُضعَّف ﴿مُذَكِّرٌ﴾:

عُبِّر بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿مُذَكِّرٌ﴾ للإشعارِ بأنّ التّذكير وصفٌ ثابتٌ له لا ينفكُّ عنه ﷺ، وأنّه مدوامٌ عليه لا تفتر همّته.

بلاغةُ الفصلِ في جملةِ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾:

الرُّسلُ هداةٌ مُرشدون، لا أربابٌ مُسيطرون

جاءت جملة: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ على طريق الفصل؛ لأنَّها بدلُ اشتمالٍ مِن جُملة القصر باعتبار جانب النّفي الذي يفيده القصر[1]، ليظهر بمجموع القصديْن - أي: البدل والمُبدَل منه - مزيدُ اعتناءٍ بهما؛ وبيانه أنَّه لمّا كان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ أفاد معنى: (أنْ لا عليك مِن عدم نظرِهم وعدم تذكّرِهم مِن تذكيرِك) جاءت جملة: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ لتُفيدَ تقريرَ النّفي المُفاد من القصر، وتحقيقَ مَعْنى الإنذار المُفاد منها؛ أيْ: (إنّما الواجب عليك التّذكير، لستَ بمُتسلِّطٍ عليهم تجبُّرهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 307.

على ما تريد)[1]، ويُلمح في جملة: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ معنى التّعليل لقولِه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[2]؛ أيْ: (إنَّما أنت مذكِّرٌ لأنَّك لستَ عليهم بمُسيطِرٍ فتجبرهم على الإيمان، ولستَ بمتسلِّطٍ على عقولِهم وقلوبِهم).

وجهُ النَّفي بـ(لَيْسَ):

ليس رسولُ الله ﷺ مُسيطرًا على المُنكِرين مُجبِرًا لهم على الانتفاعِ بتذكيرِهِ

أفاد النّفي بـ(لَيْسَ) في قولِه تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ نفي اتّصاف الخبر بالاسمِ؛ والأصلُ في النّفي بـ(ليسَ) أن يكون لنفي الحال؛ لكنّها هنا تُفيد النَّفيَ على الإطلاق، فيكون النّفي في قولِه: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ من قبيل النّفي المستمرِّ، بقرينة قِصَرِ أمرِه ﷺ على كونِه مُذكِّرًا، فإن كان الاستثناءُ في قولِه: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ مُنقطعًا تقرّر النّفي المستمرُّ، وإن كان مُتَّصِلًا كان النّفي مُستمرًّا إلّا ما استُثني، كما سيأتي. والمعنى على العموم: نفيُ اتّصافِه ﷺ بكونِه مُسيطرًا عليهم مُجبرًا لهم على الانتفاع بتذكيرِه.

عودُ الضَّميرِ في ﴿لَّسْتَ﴾:

لمّا كان الضّمير في ﴿لَّسْتَ﴾ يعود إلى رسول الله ﷺ - وهو المقصود الأوّل بالخطاب - بما اتّصف به من كونِه مقصورًا على التّذكير؛ كان المعنى: (لست - أيُّها المذكِّر - عليهم بمسيطرٍ).

معنى (عَلَى) في قولِه: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم﴾:

حرفُ الجرِّ (عَلَى) يفيد معنى الاستعلاء والتمكّن، والفعل (سيطر) يتعدَّى بـ(على)، لِدلالة الحرف على الاستعلاء المناسب لدلالة (سيطر)؛ فأفاد التّعبير بـ(عَلَى) في قولِه تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ نفيَ تمكُّن سيطرتِه ﷺ عليهم وإكراهِهم على الانتفاع من تذكيرِه.

---

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 151.

(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 240.

فائدةُ تقديمِ ﴿عَلَيْهِم﴾ على ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيْهِم﴾ على مُتعلَّقِه ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ في قولِه تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ لرعاية الفاصلة لا للقصرِ[1]، فإنَّه ﷺ ليس بمُجبِرهم ولا بمُجبِر أحدٍ سواهم على الإيمان، وإنّما خصَّهم بنفي سيطرتِه عليهم على سبيل تثبيتِه ﷺ ولأجلِ إنذارِهم وتخويفِهم، ففيه إيماءٌ إلى أنَّه ينبغي على رسول اللّه ﷺ أن لا يعبأ بهم ولا يهتمَّ بهم بسبب كفرِهم وإنكارِهم. ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ في تقديم ﴿عَلَيْهِم﴾ على ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ تأكيدًا للنّفي كذلك.

مَـن لا يعبأُ به رسولُ الله ﷺ فلينتظرِ الوعيدَ

معنى الباء في قوله: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ زائدةٌ لتأكيد النّفي، لتفيد تأكيدَ نفي كونِه ﷺ مسيطرًا عليهم، وترسيخ نفي هذه الصَّفة عنه.

نكتةُ التّعبيرِ بمُفردةِ (مُصَيطِرٍ) اسمَ فاعلٍ مُنكَّرٍ:

عَبَّر القرآن الكريم بمُفردة (مُصَيطِرٍ) في قولِه تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ لِما تدلُّ عليه المُفردة من نفي قيامِه ﷺ قيام المُتعهِّد بهم المُسيطِر عليهم بالإكراه. وفي التّعبير ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ دلالة على كونِه ﷺ ليس بجبّارٍ عليهم ولا مُسلَّطٍ عليهم ليُكرههم على التّذكُّر والإيمان. وأفاد التّعبيرُ بصيغةِ اسم الفاعل على نفي ثبوت هذا الوصف له ﷺ. ولمّا جاء اللفظ نكرةً وكان في سياق النّفي؛ أفاد نفيَ الوصف المذكور مطلقًا، بمعنى نفي أيِّ سيطرةٍ له ﷺ عليهم.

المـؤمـنُ ليس بمُسلَّطٍ على الكافرين ليُكرهَهم على التَّذكُّرِ والإيمانِ

بلاغةُ الكنايةِ في الآيةِ:

لمّا كان رسولُ اللّه ﷺ يعلم أنَّه غيرُ مُكلَّفٍ بإكراههم على الإيمان وغير واجبٍ عليه دخولهم في الإسلام كان الخبر في قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ليس على إرادة ظاهرِه؛ فالخبر مُستعمَلٌ في غير

تطمينُ رسولِ اللّه ﷺ برفعِ التّبعةِ عنه جرّاء استمرارِ أكثرِهم على الكفرِ

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 240، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 307.

الإخبار، ليكون على طريق الكناية بتطمينِه ﷺ برفعِ التّبعة عنه جرّاء استمرارِ أكثرِهم على الكفرِ وعنادِهم فيه[1].

بلاغةُ الاستثناءِ بـ﴿إِلَّا﴾:

تكذيبُ رسولِ الله ﷺ موجِبٌ للعذابِ الأكبرِ يومَ القيامةِ

الاستثناءُ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ مُنقطعٌ من الضَّمير في ﴿عَلَيْهِم﴾[2]، فـ﴿إِلَّا﴾ بمعنى حرف الاستدراك (لكن). فيكون الاستثناءُ شروعًا في حكمٍ آخر غير حُكم المُستثنى منه مبيِّنٍ لحالِ المُعرِضِ عن التّذكرة والعظة، والتّقدير: (لستَ عليهم بمسيطرٍ؛ لكن مَن تولَّى عن التّذكير وكفرَ فيعذّبه الله العذاب الأكبر)؛ ليُفيد الاستثناء المنقطع إثبات الولاية والقهرِ لله تعالى عليهم. وقرّر الزّمخشريُّ كون الاستثناء منقطعًا؛ لكنَّه وجّه المعنى على أن يكون بتقدير: (لست بمسؤول عليهم، ولكن مَنْ تولَّى وكفر منهم، فإنَّ لله الولايةَ والقهرَ، فهو يعذِّبه العَذابَ الأكْبَرَ)[3]. ولعلَّه صوَّرَ الاستثناءَ وهو مُنقطعٌ بصورة المُتَّصلِ بالتَّعبير بأداته ﴿إِلَّا﴾، إشارةً إلى أنَّ العذاب من الله عذابٌ منه ﷻ؛ لأنَّ سبب عذابِهم العذاب الأكبر هو تكذيبهم له ﷺ[4]. وذهب بعض المُعربين والمُفسِّرين إلى أنَّ الاستثناء متّصلٌ من المفعول المحذوف في الفعل (فذكر)[5]؛ أيْ: (فذكِّر كلَّ أحدٍ إلّا مَن انقطع طمعك عن إيمانه وتولَّى فاستحقَّ العذاب الأكبر؛ أيْ: فإنَّ التّذكير لا ينفعه). وتكون جملة النّفي ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ اعتراضًا[6]. ووجّه بعض المفسّرين الاستثناء المُتَّصل على أنَّه مُستثنًى من ﴿عَلَيْهِم﴾، والمعنى: لستَ عليهم بمُسلَّطٍ إلّا على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 307.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 308، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 466.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 745.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 22/ 19.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 308، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 466.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 745، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 308، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 466.

مَن تولَّى وكفرَ؛ فأنت مسلَّطٌ عليه، واللّه يعذّبه بعد ذلك العذاب الأكبر[1]، وفيه إيذانٌ بالجهاد وأسرِهم. والقولُ إنَّ الاستثناء منقطعٌ أولى وعليه أكثرُ المُفسِّرين[2].

مناسبةُ التّعبيرِ بالموصولِ ﴿مَن﴾ وصلتِه:

تقبيحُ التَّولّي عن التّذكُّرِ وتقبيحُ الكفرِ باللّه وبرسولِهِ

عبّر القرآن الكريم بالموصول وصلتِه في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ لبيان وجه بناء الخبر، بمعنى أنَّ صلة الموصول سببٌ وعلَّةٌ لحصول الخبر، فتولّيهم وكفرُهم سببٌ في عذاب اللّه لهم العذاب الأكبر، ويؤيّد هذا المعنى اقتران الفاء بالخبر كما سيأتي؛ ففي التّعبير بالموصول وصلتِه غرضُ تقبيحِ التَّولّي عن التّذكُّر وتقبيحِ الكفر باللّه وبرسولِه.

تولّي الإنسانِ عن التّذكُّر والكفرُ باللّه سببٌ في تعذيبِ اللّه له العذابَ الأكبرَ

وفي التَّعبير بالاسمِ الموصول ﴿مَن﴾ أيضًا قصد العموم، فيشمل كلَّ مَن وصف بذيْن الوصفيْن القبيحيْن، وعلى القول بأنَّ الاستثناء مُنقطعٌ – وهو الأوْلَى والأشهر – يكون ﴿مَن﴾ مبتدءًا، وخبره الجملة الفعليَّة ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾، وسبب اقتران الخبر بالفاء هو أنَّه لمّا كان الكلام استدراكًا لمجيء الاستثناء مُنقطعًا وكان المبتدأ اسمًا موصولًا؛ كان أشبَهَ بموقعِه وبعمومِه أسماءَ الشّرط، فأُدخلت الفاء في جوابِه، ومثله في القرآن وفي العربيَّة كثيرٌ. وفي اقترانِ الفاء شمَّةٌ من معنى الشّرط وسببيَّتِه، فتولّي الشّخصِ عن التّذكّر وكفره باللّه، كلاهما سببٌ في تعذيب اللّه له العذاب الأكبر.

سِرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿تَوَلَّىٰ﴾ دلالةً وصيغةً:

التّولّي عن التَّذكُّر يخالف العقلَ المستقيمَ والفطرةَ المستقيمةَ

عُبّر بمُفردة ﴿تَوَلَّىٰ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ للإشعار بتركِهم الإصغاء إلى التذكُّر وبُعدِهم عنه؛ لأنَّ التولّي عن الشّيء يقتضي معنى الإعراض والابتعاد عن الشّيء، فكأنَّهم كانوا

(1) ابن عطيَّة، المُحرّر الوجيز: 5/ 574، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 37.
(2) المُنتجب، الكتاب الفريد: 6/ 388.

يبتعدون بأجسامِهم إعراضًا عن تذكير رسول الله ﷺ لهم. ففيه ذمٌّ لهم على تولّيهم عن رسولِ الله ﷺ؛ لأنَّ مَنْ تولَّى عن تذكيرِه تولَّى عنه بعيدًا. وجاءت المُفردة بصيغة الماضي للدِّلالة على تحقُّقِ وقوع تولّيهم، وجاء بصيغة (تفعَّل) للدِّلالة على تكلُّفِهم في التَّولّي واجتهادِهم فيه، للإشارة إلى أنَّ تولّيهم عن التَّذكُّر يخالف فطرتَهم المستقيمة. فالتّعبير بلفظ ﴿تَوَلَّىٰ﴾ فيه معنى الذَّمِّ والتَّوبيخ لهم.

وجهُ العطفِ بالواوِ في قولِه: ﴿تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾:

جاء العطفُ بالواو في قوله: ﴿تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ لمناسبة الجهة الجامعة بين معنى الجملتيْن، فكلاهما مذمومان ويؤدّيان إلى العذاب الأكبر.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ (كَفَرَ) دلالةً وصيغةً:

عبّر بمفردة (كَفَرَ) للإشعارِ بتوغُّلهم بالكفر وثبوتِه لهم وإظهارِهم له. وجاء الفعل بصيغة الماضي للدلالة على تحقُّق كفرِهم واستمرارِهم فيه.

سِرُّ تقديمِ (التَّولّي) على (الكُفر):

تقديم الفعل ﴿تَوَلَّىٰ﴾ على (كَفَرَ) في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ من بابِ تقديمِ السّببِ على المُسبَّبِ والأقلِّ على الأشدِّ، ففيه إيذانٌ بأنَّ مَن يتولَّى عن تذكيرِ رسول الله ﷺ بآيات القرآن وبأقوالِه وأفعالِه فإنَّ مصيره إلى الكفر.

فائدةُ حذفِ مُتعلَّقِ الفعلَيْن ﴿تَوَلَّىٰ﴾ و(كَفَرَ):

حـذفُ مُتعلَّق الـفـعـلِ لإرادةِ العمومِ

حُذِف مُتعلَّق الفعلَيْن ﴿تَوَلَّىٰ﴾، و(كَفَرَ) للإشعارِ بعمومِ التَّولّي وعمومِ الكفر، والتَّقديرُ: (إلّا مَن تولَّى عن الحقِّ والقرآن والإيمان)، ويدخل فيه التولّي عن المُذَكِّر وهو رسول الله ﷺ وعن تذكيرِه دخولًا أوّليًّا. ومثله يُقال في حذف مُتعلَّق الفعل (كَفَرَ)، والتّقدير: (وكفر بالله وبرسولِه ﷺ وبالقرآن)، ويدخل فيه الكفر بيوم القيامة يوم تغشى الغاشية دخولًا أوّليًّا.

معنى الفاءِ في قوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾:

لمّا كان الاسم الموصول في قوله: ﴿مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ جاريًا مجرى أسماء الشَّرط في عمومِه ودلالتِه وترتّبه؛ اقترنت الفاء في قوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ بالخبر؛ لتفيد معنى سببيَّة المبتدأ للخبرِ وترتُّب وقوع الخبر عليه.

سِرُّ التّعبيرِ بالفعلِ (يُعَذِّبُ) دلالةً وصيغةً:

عبّر بالفعل (يُعَذِّبُ) بصيغة المضارع في قولِه تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ للإشعار بتجدُّد عذابِه واستمرارِه؛ وجاء الفعل بصيغة (يُفَعِّل) بتضعيف عين الفعل للإشارة إلى المبالغة في تعذيبِه، فهو عذابٌ لا يُطاق بسبب تولّيه وكفرِه.

عودُ الضَّميرِ في ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾:

يعود الضّمير في ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ إلى الاسم الموصول ﴿مَن﴾ بما اتّصف به من صلتِه، والمعنى: (فيعذِّب المتولّي عن التّذكير الكافرَ بآيات اللّه العذاب الأكبر)، ففي عود الضّمير إيماءٌ إلى سبب تعذيبِه وتقريرٌ له.

سرُّ إظهارِ لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ جاء لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ مُظهَرًا؛ مبالغةً في تهويلِ العذاب وتفخيمِه، فالذي يعذِّبُه هو اللّه الإلهُ الملكُ الأعظمُ. وفيه إشارةٌ إلى أنَّه لا مناصَ له من العذاب ولا فرارَ منه؛ لأنَّه أسند التّعذيب إلى الاسم الجليل. بمعنى أنَّه لا يستطيع أنْ يتولَّى عنه كما تولَّى عن التّذكير وأعرض عنه.

مَن يعذِّبه الله يوم القيامة لا مناصَ من العذاب إلّا برحمتِه سبحانه

دلالةُ التَّعبيرِ بالمفعولِ المُطلَقِ ﴿ٱلْعَذَابَ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ جاء الفعل ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ مُقيَّدًا بالمفعول المُطلَق ﴿ٱلْعَذَابَ﴾؛ لتأكيد وقوع العذاب والمبالغة فيه، وللتّوصُّل إلى بيان نوعِه بالصِّفة؛ أي: ﴿ٱلْأَكْبَرَ﴾؛ بقصدِ التّرهيبِ والتّخويفِ.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾:

كـلُّ عـذابٍ في الدّنيا هو دون عـذابِ النّـارِ في الآخـــرةِ، فـلا عذابَ أعظمَ من النّارِ

الظّاهر أنَّ (أل) في ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ من قولِه تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ عهديَّةٌ، والمُراد العذاب المعهود بأنَّه العذاب الأكبر وهو عذابُ جهنَّم[1]، فإنَّ كلَّ عذاب في الدّنيا هو دون عذابِ النّار في الآخرة؛ فلا عذابَ أعظمَ من النار. وذهب بعض المُفسِّرين إلى أنَّ (أل) في ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ جنسيَّة، للمبالغة والكمال في الوصف[2]. ويُقصد به عذاب جهنَّم في الآخرة، فعلى كلا الوجهيْن المراد من العذاب الأكبر هو عذاب جهنَّم.

سِرُّ وصفِ ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ بـ﴿ٱلۡأَكۡبَرَ﴾:

الـعـذابُ الأكـبرُ هو عذابُ جهنَّم يومَ القيامةِ

وَرَد قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ في عذاب جهنَّم يومَ القيامة؛ وإنَّما وُصِفَ العذابُ بصفة ﴿ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ التي تحصر غايةَ العذاب وصوره كلَّها فيه، لوجهيْن؛ أحدهما: الإشعارُ بأنَّ كلَّ ما ينال الكافرَ من العذاب قبل ذلك في الدُّنيا وفي البرزخِ صغيرٌ في جنبِ عذابِ ذلك اليومَ، فكلُّ ما عرفه النّاس في الدنيا من عذابٍ، هو عذابٌ دون عذاب الآخرة قدرًا وأثرًا[3]؛ فهو العذاب الأكبر كبرًا مُطلقًا. والوجه الثّاني: التّنبيه على أنَّ التّولّي عن تذكير رسول الله ﷺ والكفر بالله هو أكبر الذّنوب وأبلغها، فتولّيهم وكفرُهم قد بلغ حدَّ العذاب الذي لا شيءَ أكبر منه؛ لأنَّ ما عداه من عذاب الفسقِ دونَه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [السجدة: 21][4].

بلاغةُ الاستعارةِ في صفةِ ﴿ٱلۡأَكۡبَرَ﴾:

الـعـذابُ الأكـبرُ شديدٌ قـويٌّ قد بـلـغَ مُنتهاه في عِظَمِهِ

لمّا كان العذاب أمرًا معنويًّا؛ كان وصفه بـ ﴿ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ في

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 745، وابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 475.
(2) قباوة، المُفصَّل، ص: 2170.
(3) الخطيب: التّفسير القرآنيّ للقرآن: 16/ 1544.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 147.

قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ على طريق الاستعارة التّصريحيَّة التبعيَّة؛ أيْ: باستعارة وصف ﴿ٱلْأَكْبَرَ﴾ للقويِّ المتجاوز حدَّ أنواعِه[1]. وذلك بتشبيه شِدَّة عذاب النّار وعِظَمِه في الآخرة بحيث لا يكون شيءٌ فوقَه بشيءٍ عظيم قويٍّ تجاوز حدَّ أنواعِه في الكِبَر. ويلزم من تجاوزه حدَّ أنواعِه في الكِبَر أن يكون شديدًا قويًّا على وجهٍ بحيث كلُّ ما يتصوَّر من العذاب يكون هو أكبر منه.

من دلالاتِ هذه الآيةِ على البشاراتِ:

إشاراتُ القرآنِ إلى علَمِ النّبوّةِ

في هذه الآية بشارةٌ لرسول الله ﷺ بالظَّفر على الذين تولَّوا عن تذكيرِه وكفروا به؛ وفيه آيةُ رسالته؛ لأنَّ هذه الآيات نزلت في مكّة في وقت قلَّة أنصارِه من المسلمين وضعفِهم أمامَ المشركين المُكذِّبين؛ وكان الأمر كما قال من إنذار مَن تولَّى وكفر؛ إذ أفلح المُتذكِّرون وخاب المُتولّون عن التّذكُّر والكافرون؛ ليُعلَمَ أنَّه ﷺ عَلِمَ بعِلم الله تعالى ما يكون عليه حالُه والمسلمين فيما بعد[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصَّيطرة والإجبار والإكراه:

مناسبةُ التّعبيرِ بمصيطرٍ للفظِ التّذكُّر، فلكلِّ كلمةٍ في القرآنِ مع أختِها مقامٌ

الجَبْرُ هو جنسٌ من العظمة والعلوِّ والرّفعة، والإجبار في الأصل: حملُ الغير على أن يُجبر الآخر على فعلِ شيءٍ أو تركِه[3]، على جهة علوِّ المُجبِر وعظمِه ورفعتِه، ليفيد أنَّ المُجبَر أدنى منه قوَّةً. فيدلُّ الإجبار على تجاوز المُجبِر بقوَّته إرادة الضعيف ليُلزِمه بفعلٍ مُكرَهًا عليه مع غياب رضاه تمامًا عن الفعل[4]. ولكن تُعورف الإجبار في الإكراه المجرّد، فقيل: (أجْبَرْتُهُ على كذا، كقولك: أكرهته)[5]،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 308.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السُّنّة: 10/ 514.
(3) الرّاغب، المُفردات: (جبر).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جبر).
(5) الرّاغب، المُفردات: (جبر).

وأمّا الإكراه فهو حمل الغير بطريق الإلزام على ما يكرهه بالوعيد الشديد؛ أو هو أنْ تُكَلَّفَ الشَّيْءَ فتَعْمَلَهُ بمشقَّةٍ كارِهًا له[1]. ثمَّ إنَّ كره الشّيء قد يكون من حيث الطّبع وقد يكون من حيث العقل والشّرع، فقد يكون مكروهًا بالطّبع مرغوبًا في العقل والشّرع. ولهذا يصحّ أن يقول الإنسان في الشيء الواحد: إني أريده وأكْرَهُهُ، بمعنى أنّي أريده من حيث الطّبع، وأكرهه من حيث العقل أو الشّرع، أو أريده من حيث العقل أو الشّرع، وأكْرَهُهُ من حيث الطّبع[2]، وأمّا الصيطرة فهي القيام على الشّيء والتعهّد به على جهة التسلُّط؛ فالمصيطر هو المتعهّد للشيءِ القائم عليه على جهة التَّسلُّط. فأوثر في الآية التّعبير بقوله: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾؛ لأنَّ اللفظ جاء في مقابلة قصر وصف رسول الله ﷺ على كونِه مُذكّرًا، والمُذكِّر هو الذي يُعيد الذِّكرى بقصدِ النّفع على جهة اللفظ في التَّذكير، فليس له وصف التسلُّط على النّاس، فمَن شاء تذكَّر ومَنْ لم يشأ فقد تولَّى وأعرض؛ أيْ: فلمّا وصفه بالمُذكِّر وأراد نفي مقابله؛ ناسب أن يقول: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ دون أن يُقال: (لست عليهم بجبّار)؛ لأنَّه ليس في سياق نفي علوّه وجبروته بين النّاس حتَّى ينفي كونَه جبّارًا عليهم. فلكل كلمةٍ في القرآن مقامُها الخاصُّ بها.

التولّي والإعراض والإدبار:

عــدمُ إصـغـاءِ الـكـافـرِ إلى التّـذكـيرِ يـؤدّي إلى البُعدِ عنه

الإعراضُ: أن تولّيَ الشَّيءَ عُرْضَكح أيْ: جانِبَك ولا تُقبِلَ عليه، وفيه معنى الاستكبار. والتَّولّي: هو الانصراف عن الشّيء مولّيًا عنه على جهة التَّباعد عنه معنويًّا بعدم الإصغاء والائتمار، أو جسديًّا بالتّباعد الحسّي. ويُلمَح في التّولّي الاستكبار كذلك؛ قال بعضُهم: المُعرِضُ والمُتَوَلّي يَشتَرِكان في السُّلوكِ إلّا أنَّ المُعرِضَ أسوَأُ حالًا،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كره).
(2) الرّاغب، المُفردات: (كره).

وغايةُ الذَّمِّ الجَمعُ بينهما[1]؛ وأمّا الإدبار فهو من تولية الدّبر؛ أيْ: ذهب مُنصرفًا مولّيًا دُبُرَه، ولا يلزمه استكبار المُدبِر. وإنّما أوثر في الآية التّعبيرُ بلفظ ﴿تَوَلَّىٰ﴾؛ لأنَّ المقصود عدمُ إصغاء الكافر إلى التّذكير وعدمُ الائتمار به بحيث يكون بعيدًا عنه؛ وفيه إشارةٌ إلى أنَّ التّذكير يكون عن قُربٍ للمُذكَّر من المُذكِّر.

(1) الكَفويّ، الكليات، ص: 28.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"